

فقه الأسماء الحسنى

آثار الخلق والتكوين

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

حفظه الله تعالى

برنامج من إذاعة القرآن الكريم

١٤-٠١-١٤٢٨هـ

تفریغ: أم الحارث السلفية

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً-.

أما بعد، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مستمعي الأكارم..

إن من أجل المقامات وأنفع الأمور التي توجب للعبد الرفعة وتعينه على حسن المعرفة بالله وتحقيق محبته ولزوم الثناء عليه النظر والتأمل في اقتضاء الأسماء الحسنى والصفات العليا لآثارها من الخلق والتكوين، وأن العالم كله بما فيه من سموات وأرض وشمس وقمر وليل ونهار وجبال وبحار وحركات وسكنات، كل ذلك من بعض آثارها ومقتضياتها، فهي كلها تشير إلى الأسماء الحسنى وحقائقها، وتنادي عليها وتدل عليها وتخبر بها بلسان النطق والحال، كما قيل:

تأمل سطور الكائنات فإنها من الملك الأعلى إليك رسائل
لقد خطّ فيها لو تأملت ألا كل شيء ما خلا الله باطل
بإثبات الصفات لربها تشير فصامتها يهدي ومن هو قائل
فلست ترى شيئاً أدل على شيء من دلالة المخلوقات على
صفات خالقها ونعوت كماله وحقائق أسمائه، ولهذا من أجل المعارف وأشرفها.

وكل اسم من أسماء الله -سبحانه- له صفة خاصة؛ فإن أسمائه أوصاف مدح وكمال، وكل صفة لها مقتضى وفعل، إما لازم أو متعدي، ولذلك الفعل تعلق بمفعول هو من لوازمه، وهذا في خلقه وأمره وثوابه وعقابه، وكل ذلك آثاراً لأسماء الله الحسنى

وموجباتها، ويستحيل تعطيل مفعوله عن أفعاله وأفعاله عن أسمائه وأسمائه وصفاته عن ذاته؛ ولهذا جاء في القرآن الكريم الإنكار على من عطّله عن أمره ونهيه وثوابه وعقابه، وأن قاتل ذلك نسب الله إلى ما لا يليق به وإلى ما يتّزه عنه، وأن ذلك حكم سيئ ممن حكم به عليه، وأن من نسبه إلى ذلك فما قدره حق قدره ولا عظّمه حق تعظيمه، كما قال -تعالى- في حق منكري النبوة وإرسال الرسل وإنزال الكتب: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]، وقال -تعالى- في حق منكري المعاد والثواب والعقاب: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٤] وقال في حق من جوّز عليه التسوية بين المختلفين كالأبرار والفجار، والمؤمنين والكفار: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الحجّة: ٢١].

فأخبر أن هذا حكم سيئ لا يليق به، تأباه أسمائه وصفاته، وقال -سبحانه-: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجِعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦]، أي: تعالى عن هذا الظن والحسبان الذي تأباه أسمائه وصفاته. ونظائر هذا في القرآن كثيرة، ينفي فيها عن نفسه خلاف موجب أسمائه وصفاته؛ إذ ذلك مستلزم تعطيلها عن كمالها ومقتضياتها.

أيها الإخوة المستمعون...

وعليه فإن من أنفع ما يكون للعبد في هذا الباب مطالعة مقتضيات الأسماء الحسنى والتأمل في موجباتها وحسن دلالتها على

كمال مبدعها وعظمة خالقها، وأنه - سبحانه - أتقنها وأحكمها غاية الإتقان والإحكام: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ﴾ [الملك: ٣]، وكل اسم من أسمائه يقتضي آثاره من الخلق والتكوين.

فاسمه (الحميد المجيد) يمنع ترك الإنسان سدى مهماً معطلاً لا يؤمر ولا يُنهى ولا يُثاب ولا يعاقب، وكذلك اسمه (الحكيم) يأبى ذلك، وكذلك اسمه (الملك) واسمه (الحي) يمنع أن يكون معطلاً من الفعل؛ بل حقيقة الحياة الفعل فكل حي فعّال، وكونه - سبحانه - خالقاً قيّوماً من موجبات حياته ومقتضياتها.

واسمه (السميع البصير) يوجب مسموعاً ومرئياً، واسمه (الخالق) يقتضي مخلوقاً وكذلك (الرزاق)، واسمه (الملك) يقتضي مملكة وتصرفاً وتديراً وإعطاءً ومنعاً وإحساناً وعدلاً وثواباً وعقاباً، واسم (البر المحسن المعطي المانع..) ونحوها تقتضي آثارها وموجباتها، واسم (الغفار التواب العفو) يقتضي وجود جنابة تُغفر وتوبة تُقبل وجرائم يُعفى عنها.. وهكذا الشأن في جميع أسمائه.

أيها الأخوة المستمعون..

ومن تأمل في سريان آثار الأسماء والصفات في الأمر والعالم هداه إلى الإيمان بكمال الرب - سبحانه - في أسمائه الحسنى وصفاته العليا وأفعاله الحميدة، وأنه - سبحانه - له في كل ما قضاه وقدره الحكمة البالغة والآيات الباهرة والتعريفات إلى عبادته بأسمائه وصفاته، واستدعاء محبتهم له وذكرهم له وشكرهم له وتعبدهم له بأسمائه الحسنى.

أيها الإخوة المستمعون..

إذن كل اسم له تعبدٌ مختص به علماً ومعرفةً وحالاً، ولا يتحقق شيء من هذا إلا بمثل هذا النظر والتدبر النافع في كل اسم وما يقتضيه.

وأكمل الناس عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطَّلَع عليها البشر، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، كمن يحجبه التعبد باسمه (القدير) عن التعبد باسمه (الحليم الرحيم)، أو يحجبه عبودية اسمه (المعطي) عن عبودية اسمه (المانع) أو عبودية اسمه (الرحيم والعفو والغفور) عن اسمه (المنتقم)، أو التعبد بأسماء التودد والبر واللفظ والإحسان عن أسماء العدل والجبروت والعظمة والكبرياء.. ونحو ذلك.

وهذه - أيها الإخوة المستمعون - طريقة الكُمل من السائرين إلى الله، وهي طريقةٌ مشتقة من القرآن الكريم، قال الله تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والدعاء بها يتناول دعاء المسألة ودعاء الثناء ودعاء التعبد، وهو - سبحانه - يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويتنوا عليه بها ويأخذوا بحظهم من عبوديتها، وهو - جل وعلا - يحب أسمائه وصفاته ويحبّ ظهور آثارها في خلقه، فإن ذلك من لوازم كماله، وفتح - سبحانه - لعباده أبواب معرفته والتبصّر بأسمائه وصفاته فدعا عباده في القرآن إلى معرفته من طريقين:

أحدهما: النظر في مفعولاته؛ فإنها أدل شيء على أسمائه وصفاته.

والثاني: التفكير في آياته وتدبرها.

الأول: تفكر في آياته المشهوددة، والثاني: تدبر في آياته المسموعة.

وكل منها بابٌ واسعٌ في معرفة الرب المجيد والإله الحميد، فسبحان من تعرّف إلى خلقه بجميع أنواع التعريفات ودلهم عليه بأنواع الدلالات، وفتح لهم إليه جميع الطرقات، ثم نصب إليه الصراط المستقيم وعرفهم به ودلهم عليه؛ ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢].

وهذا - معاشر الإخوة - تنتهي هذه الحلقة، وإلى لقاء آخر في حلقة قادمة إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

